كيف ننتقل من المدرسة السلفية إلى المدرسة العقلية؟ (٢-٢)

العفيف الخضر

عن المرأة

الفكرة الثابتة في فقه القرون الوسطى الإسلامي الذي مازال يُدرّس في الأزهر وغيره من المعاهد الدينية في العالم العربي، باستثناء المعاهد الدينية التونسية، هي عداء المرأة رمز الأم المفترسة. في صفحة ١٢٥ من كتاب "الروض المربع" يقول بأن الزوج "لا يلزمه كفن امرأته"، أي ليس واجباً عليه دفع ثمن كفن زوجته! أما السبب فيورده الكتاب قائلاً " لأن الكسوة وجبت عليه بالزوجية والتمكن من الاستمتاع وقد انقطع ذلك بالموت (..) وفي نفس الكتاب تحت عنوان النفقات نقرأ "لا يلزم الزوج لزوجته دواء وأجرة طبيب إذا مرضت لأن ذلك ليس من حاجتها الضرورية المعتادة". وفي ص ٣٥٥ له "أن يمنعها من حضور جنازة أبيها وأمها ومنعها من إرضاع ولدها من غيره"، وله أن يضربها ضرباً غير مبرح عندما ترد عليه بتبرم. (..) والضرب غير المبرح الذي يقرره الكتاب عشرة أسواط، أي أقل من (دستة) كرابيج ! وطبعاً ديتها نصف دية الرجل ص ٤١٧. وحتى العقيقة أقل (..) ففي الذكر شاتان وفي الجارية شاة. أما في باب "عشرة النساء" فستقرأ العجب العجاب. فعن عدد مرات الجماع يقول الكتاب "يلزمه الوطء إن قدر عليه كل ثلث سنة مرة"، يعني كل أربعة أشهر، وليس لها أن تعترض. ويجيز الكتاب التزوج بفتاة عمرها أقل من تسع سنين ص ٣٧ (..) وتمتلئ الكتب المقررة بكلام سخيف عن الجواري وأحكام الزواج منهن وديتهن وعوراتهن التي تختلف عن عورة الحرة .. إلخ. وأغرب ما قرأته عن الزواج كان تفضيل الزوجة اليتيمة الأم وليست يتيمة الأب لأن الأم تفسد الزوجة. وبالطبع يضيق المجال عن ذكر كوارث أخرى فيما يخص المرأة(..).

عن أهل الذمة

الفكرة الثابتة الثانية في الفقه الإسلامي العتيق الذي مازال راهناً، هي عداء غير المسلم الذي مازال قادة الإسلام السياسي يطالبون بوضعه موضع التطبيق، مصطفى مشهور الذي طالب بطرد المسيحيين من الجيش وتحويلهم إلى أهل ذمة كرر ما تلقنه من مدارس الأزهر الشريف: يقول نفس الكتاب في باب "عقد الذمة وأحكامها": "معنى عقد الذمة إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية .. ويُمتهنون عند أخذ الجزية ويطال وقوفهم وتجر أيديهم وجوباً لقوله تعالى "وهم صاغرون" . "وفي ص ٢.. يأخذ التمييز الديني صورة بشعة لو طبقت ستؤدي بالمجتمع إلى التهلكة، فيوصي "بألا يدفنوا في مقابرنا، ولابد من حذف مقدم رؤوسهم وشد الزنار ودخول الحمامات بجلجل أو خاتم رصاص برقابهم ويركبون الحمير لا الأحصنة وبغير سرج. ولا يجوز تصديرهم في المجالس ولا القيام لهم ولا مبادءتهم بالسلام ولا تهنئتهم ولا تعزيتهم أو عيادتهم ويمنعون من إظهار ناقوسهم يلجأون إلى أضيق الطريق".

كان على الأزهر، لو كان الأزهر لا يمشي على رأسه، أن يدرس لتلاميذه وطلبته كتاب المؤرخ المصري د. عُباد عبد الرحمن كحيلة "عهد عمر" الصادر سنة ١٩٩٦ عن دار الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الذي فكك فيه بالمنهجية التاريخية أسطورة نسبة العهد العمري إلى عمر. وهكذا فتح الوعي الإسلامي على المواطنة الحديثة التي تأبى التمييز الديني أو غيره بين المواطنين.

عبادة السلف

نواة التعليم الديني السائد في المؤسسات الدينية العربية باستثناء تونس هي عبادة الأسلاف التي تلخصها مُسلمة شبه رياضية : "لا اجتهاد فيما فيه نص" (لأن أمتنا لا تقبل إلا "قال الله وقال الرسول") كما يقول راشد الغنوشي. فما معنى ذلك؟ رفض كل جديد باعتباره بدعة "وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"، كما يقول الحديث، ورفض الحداثة مؤسسات وعلوماً وقيماً ونمط حياة بما هي "تشبُّه بالكفار أي اليهود والنصارى". وقد قال ابن تيميه في كتابه "اقتضاء السراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم" :"كان السلف (..) يقولون: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبّادنا ففيه شبه من النصارى" مضيفاً :"وخالفوهم فالمخالفة تنافي الموافقة في بعض الأشياء أو في أكثرها (..)" "فإن المخالفة لهم [= اليهود والنصارى] فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورنا، حتى ما هم عليه من إتقان أمور دنياهم قد يكون مضراً بآخرتنا، أو بما هو أهم منه في أمور دنيانا. فالمخالفة فيها صلاح لنا".

هذا الرق النفسي للأسلاف هو لب عبادة الأسلاف أي التقيد الحرفي بأوامرهم ونواهيهم وتطبيق نصوصهم حرفياً، أي دونما اجتهاد فيها وإلا حل بالأخلاف غضب الأسلاف. "الأهليون من حزر الباسفيك يعبدون السفن اعتقاداً منهم بأن المواد الغذائية التي تحملها السفن للمستعمرين البيض هي هدايا أرسلها لهم أسلافهم بينما لم يرسل لهم أسلافهم سفناً مماثلة لأنهم عاقبوهم بسبب عصيانهم لأسلافهم بجعلهم أقل من البيض تقدماً تكنولوجياً لذلك يحاولون بعبادة أسلافهم استرضاءهم حتى يرسلوا لهم السفن محملة لهم بالأغذية بدلاً من البيض أعدائهم". يقول مرسيا إلياد: "عندما كان المبشر والأنثروبولوجي "ستريهلو" يسأل قبيلة "أرنتا" الأسترالية عن سبب إقامة بعض الشعائر، كان أعضاؤها يجيبونه: لأن أسلافنا أمرونا بذلك (..) وفي غينيا الجديدة يرفض أعضاء قبائل الكاي تغيير أنماط حياتهم قائلين: لأن الأسلاف كانوا يفعلون ذلك ونحن نعمل مثلهم: كما رَوى ذلك منذ خلق الأرض، كما ذبحوا كذلك يجب علينا أن نذبح، وكما فعل أسلافنا في سالف الأزمان هكذا يجب علينا أن نفعل اليوم. نفس هذا الدعاء نجده عند الهندوس: علينا أن نفعل ما فعلته الآلهة في البداية (..) في قبائل الهنود على النساء أن يجلسن على أرجلهن القرفصاء وعلى الرجال أن يجلسوا وأرجلهم متقاطعة أمامهم، لأن المرأة الأولى [حواء] والرجل قاتل الوحش [آدم] جلسا بهذه الطريقة في البدء (..) وتقول قبيلة "كرادجي" الأسترالية أن عادات القبيلة وتصرفاتها أسستها في زمن الحُلم كائنات فوق-طبيعية، مثل طريقة طبخ الحبوب، صيد الحيوان والوضع الخاص الذي يجب اتخاذه عند التبول".

التعلق بعبادة الأسلاف شكل عائقاً لوعي هؤلاء البدائيين فلم يتشجعوا على الاجتهاد في أقوال وأفعال أسلافهم.

تماماً كما فعلت المدرسة السلفية التي حولت النص إلى حقيقة مطلقة وجعلت منه سقفاً لحرية التفكير وبالتالي قيداً على عقول المسلمين منذ القرن الثاني عشر في الأقل عندما انتصر التفسير بالأثر على التفسير بالنظر وفقه الرواية على الدراية وبات الفقهاء يتندرون (من فقه الرأي) الحنفي.

ضد الجهال

عبادة الأسلاف السائدة في تعليم الدين وفي تعليم "علوم القرآن" من لغة ونحو وآداب ..إلخ، أقصت العلوم الإنسانية المتخصصة في دراسة الظاهرة الدينية مثل تاريخ الأديان المقارن وسسيولوجيا الأديان إلخ، وشنت على العلوم الإنسانية حرباً لا هوادة فيها مطالبة بأسلمتها أي تجريدها من زخمها النقدي. حتى علوم الطبيعة، فإما أنها حاربتها أو اختطفتها من وظيفتها الأصلية، كمفاهيم مفسّرة للظواهر، لتوظيفها أحياناً في خدمة أكثر التخييلات هذياناً. الأمثلة على ذلك لا تكاد تحصى، منها القرار الذي أصدره الأزهر سنة ٢٠٠٠ بحظر التأليف في موضوع نظرية التطور ومصادرته لكل كتاب يشتم منه رائحة الفكر النقدي، وليس مصادفة أن يعقد في القاهرة سنوياً مؤتمر عن الإعجاز العلمي في القرآن، برغم أن الإمام الشاطبي والطاهر بن عاشور كانا ممن قال بعدم وجود أعجاز علمي في القرآن (لأن الله خاطب العرب يومئذ على قدر عقولهم)، ومنها الفتاوى المتواصلة بتكفيرها منذ قرن في الأقل، وأشهرها فتوى سيد قطب في "معالم على الطريق" حيث اعتبر نظرية التطور والفلسفة والعلوم الإنسانية "معادية للدين بصفة عامة وللإسلام خاصة"، ومنها ما قام به بعض الفقهاء بإرغام حكومة المملكة العربية السعودية "على غلق معهد الهندسة الوراثية فاضطر باحثوه السعوديون والمسلمون إلى الهجرة إلى كندا وأمريكا بدعوى أن علم الهندسة الوراثية والبيولوجيا تدخل من المخلوق في شؤون الخلق والخالق"، ومنها ما كشفه الباحث التونسي الهاشمي شقرون في كتابه "نقد العقلية العربية": "مازالت تؤلف كتبٌ تعتمد على آلات حاسبة لمعرفة عدد الملائكة وتحددها بـ ١٢٠ مليون ملاك كان من الممكن تجنيدها في حرب العرب والمسلمين ضد إسرائيل".

سيادة عبادة الأسلاف في المؤسسة التعليمية من المدرسة إلى الجامعة تعبر في العمق عن سيادتها في جميع قطاعات الحياة الاجتماعية، بما فيها تلك التي تعلوها مساحيق الحداثة حتى ليصدق عليها قول الزهاوي: "علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح محرف"

عبادة الأسلاف هي التي تتجلى ايضاً في رُهاب العقلية العربية من التجديد الذي تتشربه كبدعة أو كتشبُّه باليهود والنصارى فتلجأ إلى حيلتين لا شعوريتين لتفادي استقبال الحداثة.

الحيلة الأولى النرجسية الدينية المكتفية بذاتها أي المستغنية عن كل تجديد ذاتي بدعوى "أن الأول لم يترك للآخر شيئاً" وهي الحيلة التي سادت فقه القرون الوسطى السلفي أي المعتمد على النص وظاهر النص بعيداً عن كل تأويل "لا يورث إلا التضليل".

والحيلة الثانية هي التي لجأ إليها جُل، إن لم يكن كل، المصلحين الإسلاميين في القرن التاسع عشر ومازالت سائدة حتى الآن وهي الحيلة القائلة بأنه علينا أن نجدد فقهنا لنقطع الطريق على الحداثة الفرنسية، وفعلاً فقد قطعوا الطريق على الحداثة ولكنهم لم يجددوا الفقه لسبب واضح أن خميرة تجديد هذا الفقه هي التشريعات الحديثة والقيم الحديثة والعلوم الحديثة والمؤسسات الحديثة وهي تختلف في منطقها ومقاصدها مع فقه القرون الوسطى بكل أحكامه وقيمه المتقادمة والذي رأينا عينات منه في المناهج السعودية والأزهرية وهي غيض من فيض. يقول محمد عمارة: "إن رفاعة الطهطاوي بعد أن خبر خطر الوضعية اللادينية الغربية في باريس دعا إلى تجديد فقه المعاملات الإسلامية ليسد الباب ويقطع الطريق بالبديل الإسلامي المتجدد على قانون نابليون الوضعي العلماني المتسلل إلى دوائر التجارة ومؤسسات الحكم والقضاء والتشريع في عالم الإسلام .. ونهض تلميذه محمد قدري باشا بتقنين فقه المذهب الحنفي لتحقيق ذات الغرض: ملء الفراغ القانوني بتجديد الفقه الإسلامي وتقنينه، بل وكان تقنين الدولة العثمانية لفقه المذهب الحنفي في "مجلة الأحكام العدلية" عام ١٨٦٩ جهداً كبيراً يصب في نفس الوعاء. وعاء التجديد للفقه والفكر والخطاب الإسلامي لملء الفضاء الإسلامي بالبديل الحضاري حتى لا يملأ التغريب هذا الفضاء".

باختصار جميع الحيل اللاشعورية أو الشعورية تؤدي إلى رفض التشبه بـ(اليهود والنصارى)، أي رفض حداثتهم، سواء باسم عبادة الأسلاف في صورتها الخام، أو في صورها الأقل ظهوراً مثل اختراع حداثة خاصة بنا، أو التزويج الفصامي للحداثة بالأصالة ليُحيّد أحدهما الآخر.

الإعلام والتعليم والخطاب الديني بدأ في تونس منذ نصف قرن في تحقيق هذه القطيعة مع الوعي الإسلامي القروسطي المسكون برُهاب الغرب. الأفكار الثلاث المركزية في الدراسات الدينية الزيتونية هي الاعتماد أساساً على الاجتهاد دون وضع سقف للتفكير العقلاني في النص الديني، تأطير هذا التفكير في النص بالعلوم الإنسانية المتخصصة في دراسة الظاهرة الدينية، وأخيراً رد الاعتبار في الوعي الإسلامي للآخر.

يحدد القانون الصادر في ١٩٩٥/٢/٨ في المادة الثانية منه مهام جامعة الزيتونة وغايات الدراسة فيها كما يلي: "يهدف نظام الدراسة بجامعة الزيتونة في نطاق الأهداف العامة للتعليم العالي والبحث العلمي ومهام الجامعات، وفي إطار الهوية الوطنية التونسية، والشعور بالانتماء الحضاري العربي والإسلامي، والوعي بواجب الإسهام في إثراء الحضارة الإنسانية إلى تحقيق الغايات التالية:

١-ضمان تكوين معرفي يؤهل المتعلم إلى اكتشاف ما في قيم الإسلام عقيدة وفكراً وحضارة من أسباب الارتقاء بالذات البشرية إلى مصاف الشخصية الحرة المسؤولة المقتدرة على الجمع بين الوفاء لنبل مقاصد الدين وضرورة الاستجابة السليمة لمقتضيات الحياة.

٢-ترسيخ الوعي بأن الفكر الإسلامي، في كل أبعاده، هو ثمرة الجهد الذي بذلته أجيال العلماء المبدعين والمجتهدين. لذلك يدعو واجب الانتماء إلى الحضارة العربية والإسلامية إلى الأخذ بأسباب عبقريتها، وإلى الحرص على الاجتهاد للتقدم بالمعرفة تقدماً يضيف إلى ما أبدع أعلامها.

٣-ترسيخ الوعي بأن جامعة الزيتونة رمز يختزل مدرسة فكرية دينية قوامها تسامح دائم ونظرة متجددة إلى الدين والتاريخ، وتوق إلى حياة روحية خصبة، وعمل دؤوب لخير الإنسانية.

٤-تمكين المتعلم مما يؤهله للتفاعل المعمق مع الثقافات والحضارات وإثراء الفكر الإسلامي والإنساني، وإضافة عبقرية المحدث إلى فذاذة الموروث. وذلك بجعله يحذق أفنان المعرفة الحديثة التي تتيح له فرص الاطلاع على إنتاج الفكر الكوني إطلاعاً مباشراً".

.....

في هذا المنظور سأقدم هنا المقاطع الأكثر أهمية من "دليل الطالب" أي برنامج المعهد الأعلى لأصول الدين [جامعة الزيتونة]. وهذه العينات نقدمها كنموذج نضعه أمام صناع القرار التعليمي في العالم العربي والعالم إذا صح منهم العزم على إصلاح التعليم والتعليم الديني خاصة في إتجاد العقلانية الدينية المرنة.

وحدة السيرة النبوية والسنة

★كتابة السيرة النبوية: (..) "الأهداف: يهتم بأجلّ من صنف في السيرة النبوية من القدامى مثل ابن اسحاق خاصة، ثم بكيفية الكتابة في هذا الفن للوقوف على: أ- التاريخي والأسطوري في رواية السيرة، ب- الأغراض التمجيدية والتعبدية فيها، ج- تصور الرواة لشخصية الرسول".

★السنة النبوية: إشكالية التدوين والتشريع: (..) "الأهداف: يهتم بتعليل الحاجة إلى تدوين السنة النبوية، والظروف التي تم فيها ذلك، مثلما يعتني بشرح تحول السنة النبوية من توابع السيرة إلى مصدر تشريع. والمأمول أن يقف الطالب على الصعوبات العلمية والتاريخية التي تحف بالتشريع من السنة النبوية".

★★وحدة تاريخ الفقه: (..) "الأهداف: يرمي إلى استخدام تصور الفقيه لنظام الهيئة الاجتماعية والقيم الضابطة لها على أساس من العقيدة الإسلامية. ويهتم ببيان الحاجة إلى الفقه ونشأة بوادر الأحكام فتطور المقالة الفقهية إلى مذاهب، لكل منها رؤية وثيقة الاتصال بمجتمع الفقيه في المصر والظرف".

وحدة تاريخ الديان

★مدخل إلى تاريخ الأديان القديمة: (..) "الأهداف: يهتم بالأديان القديمة عند القرطاجنيين والمصريين، وبالأديان الهندية، وبيان مجمل عقائدها وتفسير نشأتها وتطورها، واستخلاص ملامح الفكر الديني ،بموضوعية".

ألفت نظر القارئ إلى أن الديانة المصرية القديمة التي أثرت في اليهودية والمسيحية والإسلام تدرس في جامعة الزيتونة ولكنها لا تدرس في أي جامعة دينية أخرى بما فيها الأزهر. للوقوف على تأثير الديانة المصرية في الديانات التوحيدية يحسن الإطلاع على كتاب ثروت الأسيوطي بالفرنسية.

★مدخل إلى تاريخ الأديان الكتابية: (..) "الأهداف: يهتم ببيان عقائد اليهودية والمسيحية وشرح نشأتها، وتحديد المشتركات بينها، مع التعبير عن احترام مقولات أصحابها".

وحدة مذاهب التفسير في القديم والحديث:

التفسير ومذاهبه حتى القرن السابع: (..) "الأهداف: يرمي الدرس إلى الإبانة عن تاريخية التفسير ومنطلقات المفسرين من خلال أعمالهم. ويهتم - لتحقيق ذلك - بتحديد الحاجة إلى التفسير، وانقلاب التفسير إلى علم، وشرح اتجاهات التفسير والتأويل مع تعليلها بمشاغل شيوخها والأجيال التي ينتسبون إليها".

★اتجاهات التفسير في العصر الحديث: (..) "الأهداف: يرمي الدرس إلى تعليل انشغال علماء المسلمين على الوجه الذي تأولوا به نص القرآن، ويعتني بتفصيل مشاغل المفسرين وتعليل نظرهم والبحث في حداثة خطابهم ووجه استيعابهم لسوابق التفاسير".

وحدة الفقه وأصوله

★نشأة علم أصول الفقه ومنزلته بين العلوم الشرعية: (..) "الأهداف: يعتني بأصول الفقه من حيث هي علم منظم للعلاقة بين العقيدة وسيرة المجتمع. ويهتم في تفصيل أصول الفقه بالحكم الشرعي وأقسام الخطاب ووجوه الاستدلال، ويستخرج من ذلك كله التفكير الفقهي وتحديد منزلة أصول الفقه بين علوم القرآن وعلوم الحديث خاصة.

★★وحدة الفرق الإسلامية (..) "الأهداف يهتم بدراسة: أ- مركزية تلبس الكفر والإيمان بالعامل السياسي -الاجتماعي، ب- الاختلاف في تأويل النص التأسيسي على قدر اختلاف الحاجة، ج- مواكبة مقالات الفرق لتحولات المجتمعات الإسلامية، د- منطلقات الفكر الإسلامي من خلال مقالات الفرق".

المصدر: النوبختي: فرق الشيعة، الأشعري: مقالات الإسلاميين.

★★وحدة التصوف: (..) "الأهداف: يهتم بدراسة التصوف الإسلامي من خلال التأريخ لنشأته وتعليلها، وتفصيل أصول مقالاته، وشرح تطورها وأهمية إجاباتها عن أسئلة المجتمعات الإسلامية على نحو من التأويل الخاص، والعبادة المتفردة، والنضال البادي ويستخلص موضع التصرف على اختلاف مظاهره وأطواره من مسيرة الفكر الإسلامي".

المصدر: ابن عربي، الفتوحات المكية، الجنيد، ابن الفارض، الحلاج.

نلفت اهتمام القارئ إلى أن التصوف تعالجه معظم المناهج الدينية خاصة في الخليج كعودة إلى الوثنية، بينما التعليم التونسي يدرسه بموضوعية. ولا ننسى أن التصوف أزال عن الإسلام خاصة السني شيئاً من جفافه وزوده بنفحة روحية طالما افتقدها.

وحدة الفكر الإصلاحي في القرن ١٣هـ/١٩م ومطلع القرن ١٤ هـ/٢٠م: (..) "الأهداف: يهتم بنشأة الفكر الإصلاحي في تلك الفترة بالبلاد العربية الإسلامية، ويعتني بمقالات المصلحين مثل قابادو والطهطاوي وخير الدين والأفغاني والكواكبي وعبده ورشيد رضا والثعالبي والحداد، والطاهر بن عاشور والتيارات التي ترسمها مع الحرص على تعليلها وبيان أثر القيم الحديثة فيها".

المصدر: مختارات من كتابات المصلحين في هذه الفترة.

★★وحدة العلوم والفنون في الحضارة العربية الإسلامية

★تاريخ العلوم في العهد العربي الإسلامي: (..) "الأهداف: يهتم في المسألة بتصنيف العلوم عن فلاسفة اليونان وتطور مدلول العلم عند مفكري العرب المسلمين ثم تصنيفهم للعلوم، كما يهتم بإبراز المقدمات الفلسفية التي تبرر ذلك التصنيف".

وحدة مدخل إلى اللسانيات

النظريات اللسانية في دراسة النص: (..) "الأهداف: يرمي الدرس إلى إبراز أهمية المشاغل اللسانية في علم الدلالة خاصة في فهم النصوص وتأويلها، ويتوسل إلى ذلك بشرح بعض النظريات اللسانية المهمة والكشف عن منطلقاتها الفلسفية والمعرفية، والمأمول أن ينتبه إلى أهمية القضية اللسانية في تفهم النص الديني".

المصدر: ف. دي سوسير، دروس في اللسانيات العامة.

ألفت اهتمام القارئ إلى الهدف المركزي من دراسة اللسانيات في التعليم الديني: "أهمية اللسانيات في تفهم النص الديني".

★★وحدة مدخل إلى دراسة القانون

★مدخل إلى دراسة القانون: (..) "الأهداف: يهتم بنشأة الحاجة إلى المؤسسة القانونية، ووجه التشريع، وعلاقة القانون بالمجتمع، وخدمة القانون للحرية باعتبارها قيمة إنسانية، ثم يعتني بمصادر القانون التونسي المعاصر وتطوره".

المصدر: محمد الشرفي: مدخل إلى دراسة القانون.

★المؤسسات ونظام الحكم في الفكر الإسلامي (..)

★★وحدة الفقه وأصوله

★المذاهب الفقهية التونسية: (..) "الأهداف: يهتم بالتأريخ للمذاهب الفقهية بتونس، ويعتني بتعليل ظهور البعض منها وغياب البعض الآخر. وتدرس بعض من جوامع المسائل المتميزة في فقه المعاملات خاصة لاستخلاص ملامح التفكير الفقهي بتونس وتعليلها".

المصدر: سحنون: المدونة الكبرى، ابن أبي زيد: الرسالة، الزيلعي: تبيين الحقائق.

★مواقف الأصوليين من الإجماع والقياس والعرف في الاستدلال على الأحكام: (..) "الأهداف: يهتم ببيان أهمية تلك الأصول بين سائر أدلة الأحكام، وتشرح مسائل الإجماع والقياس والعرف، فيما عليه الاتفاق وفيما عليه الافتراق، وتبرز حجة المختلفين، وتعلل بما يكشف عن منطلقات كل اتجاه، ويستنبط طرف من ملامح التفكير الأصولي في القديم".

المصدر: مختارات من كتب الأصول في الإجماع والقياس والعرف مثل ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام.

★★وحدة مباحث كلامية وقضايا فلسفية

★أفعال العباد" عند المعتزلة والحنابلة والأشعرية: (..) "الأهداف: يهتم بمقالات الفرق الثلاث في أفعال العباد وتعلل بمشاغل المجتمع الإسلامي وقتذاك - والمأمول أن يقف الطالب على تطور كيفية الاعتقاد عند المسلمين، وتصور هذه الفرق بالذات لمنزلة الإنسان في الوجود، في المعاد وفي المعاش، وعلى تحديدها لدلالة فعل الإنسان، مستندة في كل ذلك إلى تفسير أو تأويل النص القرآني".

المصادر: عبد الجبار: المغني (أصل العدل)، ابن بطة الحنبلي: الإبانة، ابن فورك: مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري.

★مسألة الحرية في الفكر الفلسفي الحديث والمعاصر: (..) "الأهداف: يهتم بفهم الفكر الفلسفي الأوروبي الحديث لمسألة حرية الإنسان وإرادته وأفعاله من خلال اسبنيوزا وسارتر مثلاً. ويستخلص: أ- اختلاف هذا الفهم عن طرح المسلمين القدامى لقضية الجبر والاختيار، ب- القيم الجديدة التي ظهرت في الطرح الحديث، ج- أثر الفهم الجديد في الفكر الإسلامي الحديث".

المصدر: نصوص مختارة من سبنيوزا وسارتر.

★الكتب الدينية المقدسة: (..) "الأهداف: يهتم بعقيدة النبوة في اليهودية والمسيحية والإسلام وشرح وجوه الاختلاف فيها وتعليلها".

المصدر: الكتاب المقدس، القرآن.

ألفت نظر القارئ إلى وضع الكتاب المقدس والقرآن جنباً لجنب لإعادة تثقيف الوعي الإسلامي بالمساواة بين كتب الديانات التوحيدية الثلاث التي تدرس في مناهج الدول العربية الأخرى ككتب محرفة لا قداسة لها ولا احترام لشعائرها إلا إذا أكدها القرآن.

★حقوق الإنسان في الإسلام والتراث الديني والمواثيق الدولية والإقليمية: (..) "الأهداف: يرمي الدرس إلى استخلاص صورة الإنسان المؤمن في الوحي الإسلامي من ناحية، وفي التراث الديني الكتابي من ناحية أخرى. والمأمول أن يقف الطالب على اهتمام الديانات كلها بالإنسان في حفظ حقوقه، وتحريره من كل القيود المانعة من أن يتحمل مسؤوليته الشخصية والمدنية. ويعتني كذلك بتقديم المواثيق الدولية والإقليمية في حقوق الإنسان واستخلاص ما يبررها من الأسباب الطارئة، وتحلل القيم الحديثة التي نهضت تلك النصوص بنشرها. والمأمول توعية الطالب بأن مسألة حقوق الإنسان مسألة جامعة ترتكز على قيم كونية، يتطلب إنجازها جهداً يومياً وثقافة مستديمة لا يتحقق بدونها الترقي الحضاري".

المصادر: القرآن، الصحيفة، الكتاب المقدس. حقوق الإنسان: الوثائق العالمية والإقليمية، إعداد محمود شريف بسيوني، محمد السعيد الدقاق، عبد العظيم وزير.

★★وحدة الفقه المقارن

★أحكام الأرض بين السنة والشيعة الإمامية: (..) "الأهداف: يرمي الدرس إلى شرح أحكام الأرض بين المذاهب السنية، والفقه الشيعي الإمامي، وتعليلها بأوضاع المجتمعات الإسلامية وتفهمهم الإصلاح الاجتماعي على أساس من الاعتقاد والتأويل للنصوص القرآنية خاصة".

المصدر: مالك: الموطأ، أبو يوسف: كتاب الخراج، الطوسي: المبسوط.

مرتكزات الفكر السياسي العربي الرسمي

شاكر النابلسي

الآليات واحدة برغم انها تبدو ذات مسارات مختلفة، وجوهر الفكر السياسي العربي الرسمي يتمركز على المواضيع نفسها، مع وجود التفاصيل التي لها علاقة بالمحلية او خصوصية هذا البلد او ذاك. ومن يلاحظ تجليات الفكر السياسي العربي الرسمي واتجاهاته، في مختلف البلدان العربية، مع تباين الانظمة الحاكمة، يرى ملامح شبه متشابهة، وخصائص لا يصعب رصدها، وهي تستحكم، منذ عقود، في بنية النظام العربي، وتسهم في توجيه بوصلة ذلك الفكر، وتمظهراته في السياسة المحلية والعربية والدولية، خاصة بعد ان خفتت الحماسة القومية بجميع اطروحاتها واحزابها، وراحت الآيديولوجيا تشحب شيئا فشيئا، لا في المنطقة العربية وحسب بل في عموم الكرة الارضية. اذ لم تعد اطروحات الآيديولوجيا الراسخة في اذهان الساسة بمقنعة لاحد ابدا، ولم تعد ملائمة لرسم ملامح السياسة الداخلية او الخارجية، ولا في تطوير مجتمع من المجتمعات، كما لم تعد الشعارات القومية المبنية على الألفاظ فقط لتقنع حتى الفرد البسيط.

فالواقع صار يتحرك مغايرا للشعارات والرغبات والآمال، غير المبنية على اسس محسوسة.

ان ملامح الفكر السياسي العربي الرسمي، مع قليل من التعميم، تتجلى في بطء اتخاذ القرارات، وذلك بسبب بطء التحليل السليم، وعدم امتلاك تراكم تاريخي في دراسة المستجدات العالمية والعربية والمحلية، وكذلك استحكام ردات الفعل، وهي كثيرا ما ترتكس الى العاطفة القومية او الشعور الحاد بالتخلف وانعدام الوزن السياسي والاقتصادي في التأثير على سياسة الكوكب وحركاته الفكرية وموازينه الاقتصادية. وهنا يلعب عامل عدم الاستقرار دورا كبيرا في كل تلك الظواهر المشار اليها آنفا، فالحراك الاجتماعي يتم لحظيا وتنامي المستحقات لحل المشاكل الاجتماعية لم يعد ممكنا التغاضي عنه او تأجيله.

اما انعدام الرؤية المستقبلية وخلل التخطيط والاحتكام الى دساتير محددة تطال الجميع، فهي امور بارزة، مع الادعاء عكس ذلك، اذ تظهر في الازمات المفاجئة والانعطافات الحادة، كانهيار الاتحاد السوفييتي وغزو العراق للكويت وانقضاض الجيش الاسرائيلي على اراضي السلطة الفلسطينية وضرب مركز التجارة العالمي في نيويورك وما رافق ذلك من تغيير للمفاهيم والقيم التي تحكم السياسة الدولية.

انعدام الرؤية المستقبلية يجده المراقب واضحا ايضا، كلما استجدت مشكلة تخص كيانا عربيا بمفرده او تخص قضية لها مساس بالعرب جميعا، هذا ما جعل مصائر شعوب وأنظمة على حد سواء، تتعلق بما يرسم لها من القوى الكبرى، ومخططاتها ومصالحها في التعامل مع ازمات تنطلق من المنطقة العربية، كقضية فلسطين والاصولية والارهاب والفقر والتسلح، وسواها من قضايا شائكة، لم تعد تؤثر على بلد واحد بعينه انما لها تأثير عالمي، خاصة بعد احداث ١١ سبتمر وضرب الدولة الأعظم في عقر دارها كما يقال.

ازمة الفكر السياسي الرسمي بمجملها لها مرتكزات واضحة، يلاحظها المرء في الخطب السياسية والتصريحات والكتابات الصحفية الناطقة باسم هذا النظام او ذاك، ويمكن اجمالها بعدة تمظهرات اولها التبريرية الواضحة، فهناك تبرير للفشل في خطط التنمية وللفساد وغياب الديمقراطية وشحة المياه والتخلف التكنولوجي، وهذه التبريرية تحمّل الآخر، وهو عادة الصهيونية العالمية واسرائيل والغرب والامبريالية، وما الى ذلك من تسميات، تحمّله تبعة الفشل الشامل الذي حاق بمعظم الانظمة وشعوبها. وطبعا اشاعة التبريرية هو خوف كل نظام على حدة من الوقوف وقفة جادة مع النفس وتلمس اسباب الخلل، سواء الداخلية، وهي الاكثر فتكا بالشعوب، او الخارجية، وكيفية التعامل مع ذلك الخلل. الا ان الوقوف مع الذات يتطلب العلانية في التحليل والتفكير والنقد، وهذا يفترض في حدوده الدنيا حرية الرأي والافضلية للاداء السياسي لا للولاء. ويتطلب ايضا حرية في الصحافة وما تمتلكه من قدرات هائلة في توظيف فكر سياسي غير تبريري يبحث عن افضل الطرق لبناء رؤية سياسية وفكرية متماسكة، تنسجم مع مستجدات الظروف.

والفكر السياسي العربي الرسمي يرتكز ايضا على المراوغة، اي انه لا يواجه المستجدات بوضوح، بل يحاول قول نصف الحقيقة او يخفي اكثر مما يظهر، لان الوضوح والشفافية والعلانية، تتطلب موقفا جادا ومسؤولا، حيث ينبغي عندها امتلاك القدرة على تحمل مسؤولية الفشل السياسي او اي مغامرة غير ناجحة. انه فكر فاقد التركيز، ويعاني انعدام الوزن، بسبب فقدان القدرة على معرفة المهم من الأهم والأساسي من الثانوي، ولكثرة الاشكالات التي يواجهها المجتمع العربي فهو لا يعرف من اين يبدأ لترسيخ مبدأ التوازن وتهيئة الظروف الموضوعية للحاق بالركب الحضاري. فالصراع مع اسرائيل يفهمه الفكر السياسي الرسمي على انه شراء صواريخ وطائرات ودبلوماسية فجة وتوجيه كل الطاقات للمعركة ومناورات سياسية تأخذ طابع اللعب والترصد والانتظار، دون الالتفات الى ان ما يتطلبه الصراع مع اي عدو، لا اسرائيل فقط، هو تمتين المجتمع وتطويره بالعلم والتنظيم والديموقراطية واشاعة تبادل السلطة بين مختلف القوى السياسية والمرونة السياسية وامتلاك الافق الواسع وفهم التناقضات للوصول بالتالي الى بناء انسان يعيش عصره المعولم بعيدا عن الانغلاق والتعصب والمحدودية. فما يهم الفكر ذاك ادامة تواجده على الساحة والامساك بالحكم اكثر مما يهمه تطوير البلد ودفع عجلة التقدم الى الامام.

وبما ان الفكر السياسي الرسمي يتحمل مسؤولية الحكم الا انه يفضل ان يبقى بلده متخلفا، مع وجوده في دفة القيادة، اكثر مما يفضل تطور البلد لكن من دون قيادته تلك. ان هذه النظرة الأنانية لمبدأ السلطة وتطوير البلد يجعل من الفكر السياسي العربي الرسمي لا تهمه الحقيقة انما يهمه اقناع الشعب او فرض القناعات على الشعب، حتى وان جاءت عبر الكذب او التحالف مع الشيطان، او القمع الجسدي والفكري للمخالفين او الرافعي الصوت عاليا. والفكر السياسي العربي لا يضع استراتيجيات، علنية خاصة، لما لها من متطلبات تخص الخبرة العميقة وتراكم الزمن والمؤسساتية وحرية اتخاذ القرار وتنوع الخيارات، وهذا مفتقد في كنف التفرد والتوتاليتارية والسيطرة الحزبية، فالذي يضع الاستراتيجيات لابد ان يدافع عنها ويناقشها ويذهب الى الامام محاولا تطبيقها، دون الخضوع لمزاج فرد او جماعة، او يحاول حرف استراتيجيات الآخر لكي تتلاءم معها، الا ان ذلك الفكر يمحور سياساته طبقا لسياسات الآخر، ويمنتج استراتيجياته طبقا لاستراتيجيات الآخر، والسبب هنا واضح، فالفكر السياسي العربي الرسمي مقتنع، داخليا، بانه الطرف الضعيف في المعادلة، حتى لو ظل يزعق في الاعلام ليلا ونهارا بالقوة والانتصار والتفرد الحضاري. اي ان ثمة تبعية واضحة، يحاول الفكر السياسي العربي تبريرها، او التنكر لها، او اخفاءها امام شعبه خاصة، اذ ان الآخر القوي يدرك هذه الحقيقة جيدا. والشعوب تدرك تلك الحقيقة ايضا، لكن ادراك الحقائق برغم انه مقدمة لتغيير واقع الحال، لكنه ليس العامل الحاسم في بناء واقع جديد، اكثر ديناميكية.